جماليات الشعر الجاهلي

The Aesthetics of Pre-Islamic Poetry

د. حرة طيبي

جامعة أبي بكر بلقايد– تلمسان، (الجزائر)، ، h.taibi@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2024/04/28 تاريخ القبول: 2024/05/17 تاريخ النشر: 2024/06/29

ملخص:

استطاع الأدب الجاهلي بشقيه الشعري والنثري أن يبلغ ذروة واسعة حفيفة بكل المعالم الأدبية التي استطاعت توصيل الموروث عبر الرواة، الذين حاولوا بدورهم تأصيله، فهو الكلام النابع عن إحساس صادق وعاطفة جياشة، طُبِعَت بصدق التجربة الشعورية، التي وجدنا فيها العاطفة، ومنها الخيال الذي كان حاضرا دون أن ننسى المنطق والوعي، الذي امتاز به معظم الأدباء فكانت التجارب صادقة معبرة مشحونة بفخامة الألفاظ المعجمية الدالة والقضايا النثرية العاكسة للواقع المعاش، وهذا ما لحظنا في كثير من الأعمال الإبداعية خاصة ما كُتِب في المعلقات، لأن القارئ في نظري يُفّضل الشعر الجاهلي لسلاسته، وطبيعته التي كانت الأساس المعماري الأول للشعر العربي، وطبعا كل هذا أعطانا قيم جمالية جُسِدت من خلال الصور الفنية المتنوعة.

كلمات مفتاحية: الجمالية، الشعر الجاهلي، التجربة، الإحساس.

Abstract: Pre-Islamic literature, as poetry and prose, was able to reach a broad peak filled with all the literary landmarks that were able to convey the heritage through the narrators, who in turn tried to perpetuate it. It is speech that stems from a sincere feeling and strong emotion, imprinted with the sincerity of the emotional experience, in which we found emotion as well as imagination. Without forgetting the logic and awareness that characterised most writers. In addition, sincere and expressive experiences were charged with the elegance of indicative lexical items and prose issues that reflect the lived reality. This was observed in many creative works, especially what was written in the Mu'allaqat, because in my opinion the reader prefers pre-Islamic poetry for its smoothness. Hence, its nature, which was the first architectural basis for Arabic poetry, gave us aesthetic values that were embodied through various artistic image.

Keywords: aesthetics ; pre-Islamic poetry; experience; feeling.

1. مقدمة:

كان الشعر العربي القديم ولا يزال محل اهتمام ودراسة من قبل النقاد والدارسين للحقل النقدي المعاصر، الذي حاول أن يبّين ركائز وجذور النص الشعري ويبحث في حيثياته وأسسه ومضامينه وكذا الآليات التي انبنى عليها، وكما هو معروف أن الشعر من منظور العرب هو الكلام الموزون المقفى، فهو كلام بليغ مفصل دون مقصد، لا يقال من عبث وإنما ينّم عن تجربة حقيقية وهذا ما اتفق عليه جل العرب، خاصة فيما تعلق بالأغراض التي قيلت قديما.

وعملت التجارب الشعرية القديمة على تفجير طاقة النص الشعري وبنائه وتعزيز مستوياته المتعددة تركيبا وإيقاعا ودلالة، وحرصت على ضبط الشكل الفني الإبداعي، وما تعلق بالنظم وعناصر البوح الفنية والمحافظة على الكلمة وإيقاعها وكل ذلك في ظل التجربة الفنية.

وإذا كانت التجربة الشعرية قد بلغت ذروة الصوغ الإبداعي، محاولة بلورة الوضع وما حدث على صعيد الإبداع، والتطورات التي طرأت عليه، مما أعطى الكتابة الشعرية نفسا آخرا جماليا وفنيا، وكل ذلك بتوثيق من الوعي الذي حتما سيكون مفتوحا على المعرفية الحيثية بميلاد النص ومراحله.

الجاهلية جاهليتان واحدة ضاربة في أعماق التاريخ، تضم تاريخ العرب العاربة والعرب المستعربة وسبأ وحمير، والعماليق الذين سكنوا مكة، والأمم التي خسف الله بها الأرض من مثل قوم هود وصالح، والثانية هي الجاهلية المتأخرة التي سبقت الإسلام مباشرة، وتتراوح آثارها متمثلة في أخبارها وأشعارها وأمثالها وخطب خطابها وأساطيرها، وهذه الجاهلية هي التي نطلق عليها اسم" العصر الجاهلي"[1].

واتفق معظم دارسي الأدب القديم على أن البداية الحقيقية للجاهلية كانت مبهمة، وهي اسم العصر الذي سبق الإسلام، واستمر قرابة القرن والنصف من الزمان، وطبعا هذه الفترة شهدت تكامل العربية والنضج الذي ظهر في أغراض الشعر سواء من خلال ما قُدم في التجارب من كلمة ولفظ، أو ما تعلق بالمستوى الإبداعي العام لها.[2]

من هنا نطرح الإشكالات التالية:

- أين تكمن جماليات الشعر العربي؟
- ما سر اهتمام القارئ العربي بالشعر الجاهلي؟

إن الأدب بمعناه الخاص هو الكلام الجيد الذي يُحْدِث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية سواء كان قصيدة أو قصة، ولكن القارئ العربي تأثر بالشعر الجاهلي وترسخت معالمه في ذهنه، بالرغم من ضياع الكثير من القصائد الشعرية العربية التي لم تدون، وكما نعرف أن القصيدة مرت في رواياتها بثلاث مراحل متعاقبة:

مرحلة الرواية الشفوية–مرحلة التجميع–مرحلة التدوين

ولقد برع عرب الجاهلية في فن الشعر بفضل جمال لغتهم وسلاسة الألفاظ وفنية التعبير، وهذا ما لاحظناه في تشكيلة المعلقات التي بنيت على صحة المعنى والمقصد؛ وهذا ما أكده "ابن خلدون" في تعريفه للشعر" بأنه الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف والمفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء فيها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به".[3]

والشعر الجاهلي في مجمله هو شعر غنائي، يعبر فيه الشاعر عن نفسه وتجاربه، ويصف أحاسيسه، وفعلا معظم ما قيل في القديم لا شك في مصداقيته، و تنوعت المواضيع بتعدد الأحاسيس، فنجد الوقوف على الأطلال (امرئ القيس) كما نجد الوصف للمحبوبة

(طرفة ابن العبد) وأطنبت الأقلام في وصف الخمر فنجد(عمرو بن كلثوم) دون أن ننسى المقدمة الطللية لعنترة ابن شداد.

من هذا المنطلق نستطيع القول بأن الشعر الجاهلي ارتبط بالحياة القبلية والعصبية والاجتماعية والعقائدية في الجاهلية ارتباطا وثيقا، وتعددت أغراضه كما ذكرنا أنفا، فانتماء الجاهلي لعشيرته كان أمرا مقدسا ليتحصن من صراع الحياة البدوية المريرة والحماسة والوصف للطبيعة من حولهم والغزل والهجاء الذي كان سلاحا ماضيا في قلوب الأعداء، لأنهم يخافون القوافي والأوزان أكثر من الرماح والسنان.

دون أن ننسى دور المرأة في الشعر الجاهلي وما قدمته من إبداع، مثلما فعلت الخنساء في مراثيها لأخويها صخر ومعاوية، وقد صور الشعراء في الجاهلية بيئتهم بصدق وحس مرهف وعاطفة جياشة تتسم بالصدق الشعوري والواقعية التصويرية التي امتزجت بخيال الشاعر وأحاسيسه، وهذا ما أجمع عليه معظم النقاد ; فكانت الصحراء وكانت المراعي وكان الامتداد أمامهم يغلف مشاعرهم بشيء من البساطة، مما ساعدهم في إبداعاتهم الهادفة والسر الذي أبقى قيمة الشعر الجاهلي لحد اليوم.

وكانت البداية من البيئة، أي بيئة الشعر الجاهلي، فصّور الشاعر كل موضوعات البيئة بوصفها مرآة عاكسة لهذه الحياة البدوية، وفعلا حفلت القصيدة القديمة بالصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها من الصور المنتزعة والمعبر عنها، في ضوء الأحاسيس الصادقة والبيئة المنتمى إليها لأنه كما يقال "إن الأديب ابن بيئته والطفل ابن أسرته" فحتما لن يستطيع الخروج عنها، طبعا هنا نقصد الأديب وهذا هو سر تكوينه، سواء كان شاعرا، أو ناقدا أو أديبا، والأغلب من ذلك إنسانا. عكس الطفل الذي يجب عليه الخروج من تلك البيئة التي لا تنصفه حتما في كامل مراحل حياته، وهذا هو السر في الانتماء والانعكاس.

وتعددت الأغراض بتعدد الأهواء، وفعلا أبدع الشعراء في قصائدهم بتنوع أغراضها ومناسباتها، وهي صور عبّر فيها الشاعر العربي عن وضعه وانتمائه كما ذكرنا أنفا، ومما لا شك فيه تلك التجربة الصادقة لكل منهم ، وهاهو "**زهير ابن أبي سلمى المزني**" يبدع في معلقته[4]:

ومَنْ لم يَذُدْ عنْ حوضهِ بسلاحـــهِ يُهدَّمْ ومنْ لا يَظْلم النّاسَ يُظلَمِ

ومنْ يَغْتَربْ يحسِبْ عـدوا صديقَهُ ومنْ لا يُكَّرَمْ نفســـهُ لا يُكــرَّمِ

هذه المعلقة تعتبر المدونة الثالثة في التصنيف الشعري، ومن أجمل ما قيل في الشعر العربي الذي يعّد أسمى أنواع الكلام، وأجمل ألوان البيان لما يحتويه من بهاء، على هذا الأساس صنفت الكلمات وتناثرت المعاني من مثل ما جاء به شاعرنا. و"من لم لا يكف أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه، ومن كف عن ظلم الناس ظلمه الناس" ; يعني من لم يحم حريمه استبيح حريمه، واستعار الحوض للحريم وغيرها من المعاني القوية التي نسجت بناء القصيدة فالمعنى حاضر وبقوة. ولكي يستحق الكلام أن يسمى شعرا لابد من توفر العناصر التي بواسطتها تثار العاطفة وتتأثر النفس.

2. المعنى:

لابد للمعنى الشعري أن يتأنق في صياغة الفكر، ويطرز حواشيه الخيال، فالقارئ ينقاد لمشاعره وهذا مثال قوي للشاعر **ابن الرومي**[5] يرثي إبنه بكلمات وإحساس حزين:

بُكاؤكُما يَشْفي وإنْ كانَ لا يُجديْ فَجُودا فقدْ أوْدى نَظيرُكما عنْدي

قصيدة حزينة يحرك من خلالها الشاعر الوجدان بقوة بيته، وفقدان أحبابه، مخاطبا عينيه مبيّنا أن البكاء ربما يريح النفس ولكنه لا يرّد ميتا، ومن أبلغ وأوضح التعابير، الشعور بالفقدان لذلك تُحْبَك التجربة في نسيج لا شك في صدقه .

3. اللفظ:

إن ألفاظ اللغة واحدة لا تختلف في ترتيبها، ولا تتباين في نطقها، ولكن الأصل في كيفية استعمالها، وهاهو الشاعر "**النابغة الذبياني**" يمتعنا بجولاته وإحساسه المرهف وروحه الوطنية واصفا الجيش في نوع من الفرح والطرب قائلا[6]:

إذا ما غَزَوا بالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَهُمْ عصائِبُ طَيرٍ تهْتَدي بِعَصائِــبِ

يُصاحِبْنَهُمْ حــتَّى يُغِرْنَ مغارهم من الضّارياتِ بالدّمــاءِ الدّواربِ

كان النابغة البياني من شعراء المناذرة حكام الحيرة كما كان متعارف عليه، وفعلا كافأه النعمان على بعض من قصائده بمائة ناقة، وحسدوه باقي الشعراء على ذلك، ومنها قامت حرب بين القبيلتين(قبيلة الغساسنة ملوك الشام وقبيلة ذبيان التي ينتسب إليها شاعرنا) فعبّر الشاعر عن ذلك بألفاظ مادحة لذلك الحدث وتخطت القصيدة الواحدة إلى عدة منها.

4. الوزن والقافية:

يقيس الوزن نسبة الإيقاع، فهو ترجمة للثقل أو الخفة (الارتفاع أو الانخفاض) وهذا ما مُيِّز بهِ الشعر عن النثر، فميزته في الشعر هي تحسين الإيقاع وإعطائه رونقا خاصا، وهذا ما جاء في تراثنا العربي من شعر ملحون، فالصورة المتوراثة خير دليل على ذلك الجمال الفني الذي يعطي البيت رنينا موسيقيا ساحرا.

أما القافية فأبدع العلماء في تعريفها، فنجد منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي والأخفش الأوسط وإبراهيم أنيس وغيرهم، وكل التعاريف جاءت مماثلة، ومجملها أن القافية هي الساكنان الآخران ما قبلهما متحرك، أي أنها تلزم البيت الشعري في عجزه. وهي مجموعة أصوات تتكرر في أواخر أبيات القصيدة. مما يحدث تلك الموسيقى التي يتمتع بها المتلقي من خلال تلك المقاطع.

ومن أهم الرواة الذين كان لهم الفضل في رواية هذا الشعر نذكر: أبو عمر بن العلاء، وحماد وخلف الأحمر، والمفضل الضبي، والأصمعي ;وقد استقوا رواياتهم من القبائل والأعراب البدو وكان بعضهم يرحل إلى نجْد أحيانا ليستقي الأشعار والأخبار الجاهلية من ينابيعها الصحيحة، وكان بين البدو أنفسهم من هاجر إلى الكوفة والبصرة، حيث هؤلاء الرواة العلماء ليمدهم بما يريدون.[7]

من هنا تكونت مدرستان مهمتان: مدرسة في الكوفة ومدرسة في البصرة.

يقول "أبو الطيب اللغوي": " والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله وذلك بَيِّن في دواوينهم".[8]

ونجد من الرواة "المفضل الضبي الكوفي" الذي كان عالما بأشعار العرب في الجاهلية وأخبارها وأيامها وأنسابها، وقد خلّف مجموعة كبيرة من أشعار الجاهليين تلقب بالمفضليات نسبة إلى اسمه، وهي من أروع نصوص الشعر الجاهلي، واختلف في سنة وفاته، بين سنة 170 هـ وسنة 189هـ.

وكذلك الأصمعيات نسبة إلى "الأصمعي" الذي كان هو الآخر عالما وكان يعاصره عالمان كبيران هما" أبو زيد الأنصاري" الذي توفي عام 215هـ "وأبو عبيدة البصري" المتوفي 209هـ، وقد اختلف في تاريخ وفاة الأصمعي فمنهم من يقول 215هـ وآخر 216هـ أو 217هـ.

يمثل الشعر الجاهلي حياة الجاهليين، ويرسم ألوان معيشتهم، ويروي عادتهم ويصف بيئتهم ولون ثقافتهم، و ينشد "**امرئ القيس الكندي**" في وصفه لرحلته إلى القسطنطينية قائلا[9]:

بكىَ صاحِبي لمّا رأى الدربَ دونَهُ وأيقـنَ أنا لاحقان بقيْصــرا

فقلت له: لا تبـــــكِ عينك إنّمـــا نحاول مُلكاً أو نموت فنُعْـذرا

وطبعا تنوعت مصادر الشعر الجاهلي واختلفت في عدد قصائدها:

- المعلقات.
- المفضليات: المفضل الضبي راوي الكوفة 126 قصيدة وُزِعَت على 67 شاعرا.
- الأصمعيات: بلغ عدد قصائدها 92 قصيدة موزعة على 71 شاعرا.
- جمهرة أشعار العرب: لأبي زيد القرشي وتتضمن 49 قصيدة طويلة موزعة على 7 أقسام.
- مختارات ابن الشجري: وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي ويدخل في قسم المختارات دواوين الحماسة لأبي تمام.
- دواوين الشعراء الجاهليين: مثل امرئ القيس، الذبياني، زهير بن أبي سلمى، طرفة ابن العبد عنترة ابن شداد، علقمة الفحل، وقد نشرها " الوارد" برواية الأصمعي.[10]

كان الشعر الجاهلي مبعثه الاستجابة لأحاسيس النفوس من حب وبغض، والتعبير عن رغبات النفس من إذاعة للمكارم ونشر للمحامد، وتنوعت أغراضه وتشبعت فنونه، وتنوع من غزل إلى فخر ومدح وهجاء ورثاء، وطبعا لكل غرض لغته الخاصة وقوته في التأثير.

ومن ثم يُقال أن الشعر بنيَ على أربعة: الرهبة والرغبة، الطرب والغضب. وتنوعت القصائد بين الشعراء بتنوع تجاربهم، فنجد الحماسة التي تنبئ عن القوة وتدلل على الشجاعة والاستهانة بالصعب من الأمور والعسير من المخاطر وخوض غمار الحروب ومن أمثلة الحماسة قصيدة" **عمرو بن كلثوم**"[11] الذي يفتخر فيها بأيام قومه وغاراتهم المشهورة:

أبَا هنْدٍ فلا تعْجَلْ علـيْنا وأنْظِرْنا نُخَبَّرْك اليـَـــــقينا

بأنَّا نورِدُ الرّاياتِ بيضـــًا ونُصْـدِرْهُنَّ حُمرا قدْ رَوينـــا

وأيّامٍ لنا غَـرَّ طِـــــوالٍ عَصيْنا المَلْك فيها أنْ نَدينـا

كان الشاعر عمرو بن كلثوم صوت القبيلة، الذي يتغنى دائما بالشرف، فالحماسة دم يجري في عروق شعراء الجاهلية ; كيف لا وهي فن الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال ووصف ما في الحرب من كرّ وفرّ وعدد وسلاح ودماء وجرحى وقتلى ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلى ذلك فهو بجملته فن البطولة.[12]

أما المدح فقد أطنب الشعراء في استخدامه، وهو الثناء على إنسان بذكر أفضاله وتعداد خصاله العظيمة، ويقال أن أمدح بيت قالته العرب قول الشاعر" **النابغة الذبياني**"[13] الذي اشتهر في شعره بالاعتذار، ففي هذه القصيدة يتبرأ إلى النعمان من وشاية ويمدحه قائلا:

ألمْ ترَ أن الله أعطاك ســـــورةً ترى كل ملْك دونها يَتَذَبْـــذَبُ؟

بأنك شمس والملوكُ كواكـــــب إذا طلعَتْ لم يَبدُ منهنَّ كوكَبُ

أما الهجاء وهو ضد المدح، ويكون بسلب المرء ما يعتريه من فضيلة أو ريبة بما ينفر منه من رذيلة، يقول" **الحطيئة**" في هجاء الزبرقان[14]:

دع المكارم لا ترحل لبغيــتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالقصيدة تحمل ذم وهجاء من الحطيئة للزبرقان بن بدر، العلاقة المجازية المفعولية أي غير المشابهة مجاز عقلي، وطبعا هو أهجى بيت عند العرب والشاعر الحطيئة معروف بأنه شاعر هجاء، حتى أنه هجا أمه.

ويصنف غرض آخر نجد فيه الشعور صادق وهو غرض الرثاء، الذي يميز بالبكاء على الميت والتفجع عليه، وإظهار اللوعة لفراقه والحزن لموته، يقول" **أبي ذؤيب الهذلي**" في رثاء أبنائه الخمسة الذين فقدهم في عام واحد:

أمِنَ المَنونُ ورَيْبِها تتَوجَّـــــعُ والدَّهْرُ ليسَ بمُعتِبٍ مَن يَجـزَعُ

قالت أميمةُ ما لجِسْمِك شاحباً منذُ ابتَذَلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفَعُ

أم ما لجنبِكَ لا يُلائِمُ مضـجَعًا إلّا أقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضجَعُ[15]

حاول الشاعر كشف عمق النظرة إلى الموت والحياة قبل الإسلام، من خلال نصوص مختلفة مثّلت بؤرة مركزية في الشعر العربي، حاول من خلالها الشاعر الجاهلي مساءلة المستقبل المجهول بعد الموت، متنقلا بذاته إلى عوالم الموت ومصورا مشهد الفقدان.

ولم يتمهل أبو ذئيب في رثاء نفسه عند تجهيزه وتكفينه وندبه كثيرا، وإنما كان اهتمامه منصبا على تصوير القبر تصويرا لا يخلو من ملامح السخرية أيضا، إذ وصف اختيار أهله له وحفرهم إياه، وإصلاحَهم جدرانه، كشأنهم في حفر البئر وإصلاحها، لذلك جعل جسده في منزلة الدلو، وجعل إنزالهم إياه إلى القبر في منزلة إرسالهم للدلو بغية الماء، ولكنهم بعد انزله تركوه في القاع المظلم ولم يخرجوه إخراج الدلو بعد ملئها، وانفضّوا عائدين، وظل هو وحيدا متسربلا بأكفانه، ومتوسّدا ساعدَه.[16]

وتعددت الأغراض وتنوعت من غزل وفخر ووصف، فإذا تحدثنا عن الغزل وجدناه في أكثر أشعار العرب، و أروع ما قيل فيه، وكانت المرأة العربية ذات تأثير ساحر على عقل الرجل وقلبه وعواطفه، وخير من أبدع في ذلك" **علقمة بن عبدة**"، فالطباع العربية والصفات التي كانت تملك نفس البدوى، وتملؤها عزة وأنفة هي التي تسيطر على أمثال هؤلاء الشعراء.

دون أن ننسى الوصف، الذي يعتبر من أدق موضوعات الشعر، وقد برز فيه العرب وكان ما وقعت عليه أنظارهم من أرض وسماء، شجر وجبال، حيوان ورمال.. فقد أجادوا في وصف المرأة ومحاسنها وطباعها، ونبغوا في وصف الخيل والإبل، كما أيدعو في وصف الليل، وكل ما مرّ بهم من ظواهر الطبيعة وأحداث الحياة.

يقول "**عنترة ابن شداد العبسي**" في معلقته يصف فأرة مشبها بها محبوبته:

وكأَنَّ فارَةَ تاجرٍ بقسيــمَةٍ سبقَتْ عوارِضَها عليْكَ مَنَ الفَمِ[17]

وطبعا لا يخلو الشعر الجاهلي من الحكم والأخلاق، التي مثلت في الخصال الكريمة كالحلم والشجاعة والدفاع عن الوطن، فالأسلوب الذي اتبعه الشعراء هو الذي نسجت فيه التراكيب واختيرت فيه الألفاظ كما ذكرنا، وكثر الإيجاز في أساليب الشعر لميل العرب إليه وقل المجاز، كراهتهم الاستقصاء والإطناب والحشو وهذا ما أعطى الجمالية في تذوق الشعر الجاهلي، ضف إلى ذلك الحياة الفطرية والبدوية هي التي جعلتهم يبدعون وكونت لديهم شخصية إنسانية، لذلك يبقى العصر الجاهلي أزهى العصور.

ويستحضر الشعراء في وقفتهم على الأطلال صورة الماضي الذاهب، ذلك الماضي الذي يتصل بالزمان والمكان، ويرتبط بحقبة من العمر يجد الشاعر نفسه مدفوعا إلى الحنين إليها "فالأطلال ماضي" والوقوف عندها اجترار للذكريات وحركة توقف الحاضر لتنطلق منه إلى الماضي تعيد تشكيله في العمل الفني تشكيلا خاصا يقدم الذات.[18]

ومن اللافت للنظر كثرة المقدمات الطللية في بداية القصيدة العربية، وهذا يرتبط بعالم الشعر كما يرتبط بالواقع الذي عاشه الشاعر الجاهلي، ومن ثم نستطيع القول أن القصيدة الجاهلية اتخذت شكلا متسلسلا إن صح القول، بدأ بذكر الأطلال ثم وصف الخمر وبعدها ذكر الحبيبة، ثم ينتقل الشاعر فيه إلى الحماسة، التي أسست فنيا وجماليا على ضوابط متخذة من العصر المعاش.

5. خاتمة:

وفي الأخير نقول أن الصيغة الجمالية مرت في الشعر الجاهلي بأطوار مختلفة، حيث انتقلت من مفاهيم جمالية ذات طابع نظري إلى قيم جمالية جسدت من خلال الصور

الفنية الحية ثم انتقلت عبر مرروها في النص الإبداعي إلى مثل جمالية، وهذا ما لاحظه القارئ العربي حين حاكى الشعر الجاهلي وطوّر فيه ونقصد هنا استمراريته حتى العصر الحديث، دون أن ننسى الوعي الجمالي التقليدي الذي مثّل طبعا المثل الجمالية.

أما بالنسبة لموسيقى الشعر الجاهلي أو الأوزان، فمعظم الشعراء العرب اتفقوا على أن الأوزان الشعرية جاءت علة وقع الحُداء وهو سَوْقُ الإبل والغناء لها. ومنهم من قال أن أصل الأوزان الشعرية السجع الذي تطور إلى بحر الرجز، ثم نشأت البحور الشعرية الأخرى، ومنهم من قال أن أصلها يرجع إلى الغناء، فالعربي في صحرائه يحتاج إلى الترانيم والطرب فيأخذ مقاطع من الكلام يغني بها فتطور ذلك حتى أصبح شعرا موزونا مقفى.

إذن الشعر الجاهلي في معظمه شعر له قيم جمالية وفنية امتاز بها، وساعدته في ذلك الألفاظ التي مالت إلى الخشونة والفخامة في آن واحد، كما جاءت في معظمها خالية من التكلف والمحسنات المصنوعة. وكان المعنى بعيد عن التعقيد، منتزع من البيئة البدوية كما ذكرنا، وطُبِعَتْ القصائد العربية بطابع الخيال الذي أبهرنا به شعراء المعلقات، وهو المحفز الرئيسي للقارئ في تعمقه للغة الشعر، وذلك طبعا باعتماده على الطابع الحسي الذي أثّر فعلا على نفسية القارئ.

وبكل هذه الخصائص استطاع الشعر الجاهلي النبوغ والاستمرار، وأعطانا جمالية فنية نابغة كنبوغ عصره، وتجولنا من خلاله في بحر خيالي مليء بالمغامرات الشيقة مع عمالقة الشعر الجاهلي.

6. الهوامش:

[1]- مصطفى السيوفي، تاريخ العصر الجاهلي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008، ص 11.

[2] – ينظر، سامي يوسف أبو زيد ومنذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2011، ص 17.

[3] – مصطفى السيوفي، تاريخ العصر الجاهلي، ص 70.

[4] – الإمام القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 76.

[5] – مصطفى السيوفي، تاريخ العصر الجاهلي، ص 71.

[6] – المرجع نفسه، ص 72.

[7] – ينظر، المرجع نفسه، ص81.

[8] – نفسه، ص 82.

[9] – نفسه، ص 83.

[10] – نفسه، ص96.

[11] – الإمام القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص105.

[12] – ينظر، جرجسي داود داود، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1998، ص ص243 – 244.

[13] – مصطفى السيوفي، تاريخ العصر الجاهلي، ص 94.

[14] – المرجع نفسه، 97.

[15] – نفسه، ص 98.

[16] – ينظر، عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، العين، الإمارات العربية المتحدة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2001، ص489.

[17]– المصدر السابق، الديوان، ص 119.

[18] – حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي "قضايا وفنون ونصوص"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003، ص 364.

7. قائمة المراجع:

1. الإمام القاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
2. جرجسي داود داود، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1998.
3. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي "قضايا وفنون ونصوص"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2003.
4. سامي يوسف أبو زيد ومنذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2011.
5. عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، العين، الإمارات العربية المتحدة، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 2001.
6. مصطفى السيوفي، تاريخ العصر الجاهلي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، 2008.